صور من زهد الصحابة

د. هاجر الطيب الطاهر عمران
قسم الفلسفة – كلية الآداب
جامعة الزاوية

مقدِّمة:

عند الحديث عن الحياة الروحية عند صحابة رسول الله ﷺ، من المؤكد أنَّ حياتهم الروحية كانت صورة من الحياة الروحية عند رسول الله ﷺ، لأنَّه كان قدوتهم ومعلمهم والمرشد الوفي، والناصح الأمين لهم وللمسلمين أجمعين.

أثنى القرآن الكريم على صحابة الرسول- رضوان الله عليهم أجمعين– في أكثر من آية في القرآن الكريم، ففي المهاجرين والأنصار يقول سبحانه:**﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾** [سورة الأنفال،الآية:74].

وهؤلاء الصحابة هم الذين رضي الله عنهم، وأرضاهم وأحبَّهم وأحبوه فأثابهم الثواب العظيم لأنَّهم كانوا مع الله مناصرين لدين الله لقوله تعالى: **﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيما﴾**[سورة الفتح،الآيتان:18،19]. وقوله تعالى:**﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾** [سورة الحشر،الآيتان،8،9]، ولهؤلاء

الصحابة وما حملوه من زهد، وتقشُّف، وورع، وتقوى مكانة رفيعة ودرجة عالية عند الله تعالى، فالرسول الكريم -صلوات الله وسلامه عليه- أوجب علينا منهجاً معيَّناً، في التعامل مع سيرتهم حيث نهانا ﷺ عن التعرُّض لذاتهم أو لأعمالهم أو لصفاتهم بما يسيء إليهم فقال: "استوصوا بأصحابي خيراً"[1]. فالقرآن الكريم والأحاديث الشريفة، أظهرت تمجيداً عظيماً لصحابة رسول الله ﷺ، وتكريماً لهم واعترافاً بما قدَّموه من تضحيات بالأهل والمال والولد، فمثل هؤلاء الرجال لابد أنْ يكونوا ذوي حياة روحية عالية متمسِّكة بتعاليم الإسلام، سواء أكانت فرضاً أم سنة، أو أخلاقاً ومعاملات، فقد سلك هؤلاء طريق الرسول ﷺ في الزهد والورع والتقوى، واثبتوا من خلال هذه الحياة الروحية العالية أنَّ الدين لا يحل في نفس غرقت في الماديات، سعياً لها وتلذذاً بها. وكذلك لا يحل الإيمان الحقيقي بقلب متعلق بالشهوات نهاراً وليلاً، فهم وازنوا بين دنياهم وآخرتهم، فلم يغتروا بالدنيا حتى نسوا الآخرة، ولم يتعصبوا للآخرة وأهملوا دنياهم، فرضي الله عنهم وأرضاهم، فكيف كان منهج الإسلام في الزهد والتقشف إذن؟، وكيف جسَّده صحابة رسول -رضوان الله عليهم- ؟، وهذا كان سبب اختياري لهذا البحث.

يهدف البحث أيضاً إلى التأكيد على أنَّ الزهد منهج سلكه الرسول ﷺ وأصحابه من بعده رضوان الله عليهم، لا يعني انصرافًا تاماً عن الدنيا، وإنَّما يعني الاعتدال أو التَّوسط في الأخذ بأسبابها، لقوله تعالى:﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص الآية:77]. كما يهدف البحث إلى التَّعريف بأنَّ الزهد عند صحابة رسول الله ﷺ منهج اقتدوا به سلوكاً وتطبيقاً فكانوا أقوياء على أنفسهم بالزهد، فلم يصرفهم زهدهم على حياة المجتمع، ولم يكونوا عُبَّاداً للمال أو الجاه والشهوات، لذلك حقَّقوا العدالة الاجتماعية في أرقى صورها.

وقد انتهجت في هذا البحث المنهج الوصفي التاريخي لوصف الحياة الروحية الصادقة لنماذج من صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بحقائق تاريخية ثابتة لا يختلف فيها اثنان، وما اتسمت به من زهد معتدل قائماً على الكتاب والسنة. ورأيت أنْ أبدأ البحث بعد المقدمة بمحورين، المحور الأول وعنوانه: التَّعريف بالزهد لغةً واصطلاحاً، والزهد في القران والسنة الشريفة، أمَّا المحور الثاني فعنوانه: صور من زهد الصحابة -رضي الله عنهم- ويضم الزهد عند أبو بكر الصديق -رضي الله عنه-، والزهد عند عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وفى خاتمة البحث أهم النتائج التي توصَّلت إليها.

المحور الأول:

أولاً- تعريف الزهد:

1- **الزهد في اللغة:** يقول ابن منظور في لسان العرب: "الزهد والزهادة، ولا يقال الزهد إلا في الدين خاصة، والزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا، والزهادة في الأشياء كلها ضد الرغبة. زَهِدَ وزَهَدَ، والتزهد في الشيء وعن الشيء خلاف الترغيب فيه، وزهده في الأمر رغبه فيه"[2]، ويقال زهد في الشئ وعن الشئ[3].

ويقول الرازي في الصحاح: "التزهد التعبد. والتَّزْهيد ضد الترغيب، والْمزهِد قليل المال"[4]، وفى المعجم الوسيط فالزهد يعني القدر اليسير، و الزهادةُ في الشيء خلاف الرغبة فيه، ويقال زَهِدَ في الدنيا ترك حلالها مخافة حسابه، وترك حرامها مخافة عقاب(5).

من الواضح أنَّ الزهد من خلال المعنى اللغوي هو: البعد عن الدنيا وترك الرغبة فيها، والتقليل من ملذات الحياة، والانصراف إلى الجاد من أمورها.

2- **الزهد في الاصطلاح:** لما كان الزهد دالاً عن قوة النفس، من أجل التقرُّب إلى الله -عزَّ وجلَّ- وهذا لا يعني هجر اللذات والطيبات مادام الأمر مرتبطاً بالنية الخالصة لله تعالى. وهو ما يسميه أهل الطريق بعمارة الوقت.

يقول ابن القيم في هذا الجانب: "الاشتغال في جميع آنائه بما يقرِّب إلى الله، أو يعين على ذلك من مأكل أو مشرب أو منكوح أو منام أو راحة، فهو متى أخدها بنية القوة على ما يحبه الله، وتجنُّب ما يسخطه كانت عمارة للوقت، وأنْ كان له فيها أتم لذة. فلا تحسب عمارة الوقت بهجر اللذات والطيبات"[6].

ووجدنا أنَّه مِنْ أجمع ما اصطلح عليه المسلمون في الزهد كلام الحسن البصري حيث يقول: "ليس الزهد في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن أنْ تكون بما في يد الله أوثق منك في يدك، وأنْ تكون في ثواب المصيبة– إذا أصبت بها- أرغب منك فيها لو لم تصبك"[7].

مما سبق يتضح أنَّ الزهد هو العيش في هذه الحياة بما يرضي الله العزيز الوهاب، لأنَّه هو صاحب هذه النعم فيجب الاعتدال فيها، وطالما أنَّ الإنسان خلق ليعبد الله تعالى فعليه أنْ يوازن بين دينه ودنياه لينال أجر الآخرة.

وطالما أنَّنا بصدد التعريف بالزهد فلا نغفل عن الزُّهاد وطبقاتهم فهناك من يحددهم على ثلاث طبقات:

أ- المبتدئون: وهم الذين خلت أيديهم، وخلت قلوبهم مما خلت منه أيديهم. ويقول الجنيد في هذا المعنى حين سئل عن الزهد : "تخلّى الأيدي من الأملاك، وتخلّى القلوب من الطمع"[8].

ب- المتحققون بالزهد: وهم الذين تركوا حظوظ النفس لما في الزهد من الراحة والثناء والمحمده، واتخاذ البعد عن الناس فمن زهد بقلبه في هذه الحظوظ فهو متحقق في زهده.

ج- الذين عملوا وتيقنوا: لو كانت الدنيا كلها ملكاً حلالاً، ولا يحاسبون عليها يوم الآخرة، ولا ينقص ذلك مما لهم عند الله شيئاً، ثم زهدوا فيها لله -عز وجل- لكان زهدهم في شيء مند خلقها الله تعالى ما نظر إليها، ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضه ما سقى الكافر منها شربة من ماء، فعند ذلك زهدوا في زهدهم وتابوا من زهدهم فهذا زهد العارفين الذين يشتغلون بالله تعالى، ولم يلتفتون إلى دنيا[9].

الواضح أنَّ هؤلاء الزُّهاد بطبقاتهم قد أكدَّوا على الزهد، ولكن بعضهم بالغ بترك كل شيء في الدنيا، ولكن من المفروض للمؤمن أنْ يحيا حياة إسلامية قوامها الاعتدال لكي لا ينحرف عن مساره الشرعي، أو لكي يكون على توافق مع القرآن والسنة الشريفة. في حين نجد الزهد عند الشبلي هو "الغفلة لأنَّ الدنيا لا شيء، والزهد في لا شيء غفلة"، وابن القيم أنَّه سمع شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: "الزهد: ترك مالا ينفع في الآخرة. والورع: ترك ما تخاف ضرره في الآخرة"[10].

في حين ذهب الإمام أحمد بن حنبل إلى أنَّ الزهد على ثلاثة أوجه:

الأول- ترك الحرام وهو زهد العوام.

الثاني- ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص.

الثالث- ترك ما يشغل على الله، وهو زهد العارفين.[11].

يتضح مما سبق عرضه أنَّ عاملين أساسيين لنشأة الزهد هما:

أولهما: القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ويتجلَّى فيما ورد في القرآن والسنة متعلقاً ببيان حقارة الدنيا وزينتها، وضرورة العمل الجاد من أجل الآخرة للظفر بثواب الجنة والنجاة من عذاب النار، وهذا ما سيأتي توضيحه[12].

ثانيهما: الأحوال السياسية والاجتماعية، إذ كان للخلافات بين المسلمين منذ أواخر عصر الخليفة عثمان -رضي الله عنه- أثر في مجال الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية للمسلمين، وبدأت تظهر العصبية القبلية مرة أخرى، وتوالت الخلافات السياسية في عهد الإمام علي، وانقسم المسلمون بعد هذا إلى أمويين وشيعة وخوارج ومرجئة.

واستمرار النزاع بين الأمويين وخصومهم زمناً طويلاً، ولم يكن الخلاف السياسي بمعزل عن الدين، بأنْ كان كل فريق يؤيد موقفه بنصوص من الدين، وهذا يدعو إلى الاجتهاد في فهم النصوص أو تأويلها تأويلاً خاصاً، وصار كل حزب سياسي فرقة دينية لها معتقداتها[13].

كما يتضح من خلال هذا العرض التاريخي استشعار الصحابة خطورة الموقف حين صار مشحوناً بالاضطراب السياسي، وآثروا أنْ يقفوا من أهل الفرق المتنازعة موقف الحياد؛ ولعلهم فعلوا ذلك إيثاراً للسلامة، وابتعاداً عن الفتنة، وهم بذلك كانوا قد اتجهوا إلى نوع من الزهد والعلم والعبادة، هذه العوامل مجتمعة وإنْ دفعت المسلمين في القرنين الأولين إلى العمل من أجل الآخرة، والاكتفاء بالقليل من الأكل والملبس والمال، والخوف المستمر من فتنة الدنيا، يبقى الزهد الذي عناه الإسلام ليس تركاً للدنيا بالكلية، وإنَّما يعني الاشتغال بها مع التهوين من شأنها.

3- **مفهوم الزهد في القرآن الكريم:**[2] ورد لفظ (الزهد) في القرآن في موضع واحد في سورة يوسف بقوله تعالى: ﴿**وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ**﴾ [يوسف،الآية:20].

يقول الدكتور كامل الشيبي في هذا الصدد: "إنَّ القافلة التي اشترت يوسف لم تمتلئ به عينها، واعتبروا هذه الصفقة أمراً لا يزيد ولا ينقص ولا يثير شيئاً من الحرص، من هنا ينبع معنى الزهد الاصطلاحي الذي يتصل في الغالب بالأمور الدنيوية التي تميّز إنساناً عن آخر بالمال على الخصوص وبما يساير المال أو يتصل به من المميزات المادية في الحياة الدنيا"[14].

وما يوثّق هذا الاتجاه الزهدي في الإسلام هو القرآن الكريم، إذ منع كنز المال، وهو جوهر الغنى والحياة المترفة، فنص قوله تعالى:﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [سورة التوبة، الآية:34]

وفى مقابل هذه الآية لا ترد أخرى بعكس معناها، وإنَّما كثيراً ما يطلب القرآن من المسلمين بذل الأموال في سبيل الله ليشفع ذلك لهم في آخرتهم، ومن أبرز الآيات الدالة على هذا قوله تعالى:﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾ [سورة التوبة،الآية:111]. والآية الكريمة:﴿ **مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا**﴾ [سورة البقرة ،الآية:245].

هذا بالإضافة إلى التزهُّد المستمر في الحياة الدنيوية في الآية:﴿**إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**﴾ [سورة الكهف،الآية:46]. علينا أنْ نمعن النظر في قوله تعالى:﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ**

الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ قُلْ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾[سورة آل عمران،الآيتان15،14].

و كما يصوِّر القرآن طبيعة الإنسان في الميل إلى الشهوات الدنيوية في قوله تعالى:﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ [سورة الأعلى، الآيات:14- 16]. وقوله تعالى:**﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** [سورة يوسف،الآيتان7، 8].

مما سبق نستنتج أنَّ موقف القرآن من الزهد تبدو ايجابيته الشديدة تجاه هذا الشكل من أشكال الحياة الإنسانية، باعتباره منهجاً يمارسه المؤمن بالكاد يومياً.

منح الله البشر الأكل والشرب والشهوات جميعها، وأكَّد بأنَّها زينة الحياة وعلى الإنسان التمتُّع بها، ولكن أليس الإنسان بوديعة الله على أرضه؟، منحه عقلاً فهو ممتحن في هذه الأرض، وعليه أنْ يعتدل في التعامل مع نعم الله، فلا يؤثر الحياة الدنيا ويطمئن إليها، ويجعلها بديلاً على الآخرة، ولا يؤثر الآخرة على الدنيا، فالإنسان بطبيعته مؤثراً للدنيا وملذَّاتها محباً للجاه والمال، وعليه ألا يستسلم لذلك بل عليه بتزكية نفسه بالعبادة وسائر فروض الدين، ونهيها عن هواها باستمرار.

4- مفهوم الزهد في السنة النبوية الشريفة: يشتمل الزهد في السنة على مجالات يمارسها الناس في هذه الحياة منها:

أ- الزهد في الدنيا عموماً: بمعنى الإعراض على ما يشغل الإنسان عن ربِّه سبحانه وتعالى مما تهواه النفوس والأرواح ويسعى إليه الإنسان بكل ما يستطيع، سالكاً طريق الحلال والحرام.

فالدنيا وما تحمله من مشاغل هي رأس كل مصيبة لقوله ﷺ: "الدنيا رأس كل خطيئة"[15] وقولهﷺ: "حبك للشيء يعمي ويصم"[16].

فالرسول الكريم ﷺ جعل من الزهد وسيلة لتجنُّب الخطيئة، فإذا تخلَّص الإنسان من حب الدنيا ضمن مجانبة الخطيئة والتَّوقي من العمى والصم المفضيان إلى حصول ملا يجوز حصوله.

وقد دعت الأحاديث النبوية إلى الزهد في الدنيا وبيَّنت كيفية الزهد، كما في قول الرسولﷺ : "كن في الدنيا كأنَّك غريب، أو عابر سبيل"[17]، ولمَّا قدَّم أبو عبيدة بمال البحرين وانتظر بعض الصحابة قال لهم رسول اللهﷺ : والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أنْ تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم وقوله ﷺ: "الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر"[18].

دعوة رسول الله -عليه الصلاة والسلام- أصحابه إلى عدم الانغماس في الدنيا فهي مهلكة، فالتمتع بما في هذه الحياة من متع لم يحرِّمها الله على المسلم، لكن الزهد فيها والاعتدال واجب يثاب عليه العبد، لأنَّه بالزهد انصرف عن المحرَّمات والتزم بأمر الله فأطاعه.

ب- الزهد في المال: جمع المال الحلال أكثر مما يحتاج إليه الإنسان، وهذا يدخل في باب الإسراف والتبذير، والقرآن الكريم اشتمل على العديد من الآيات التي تحذِّر من ذلك، منها قوله تعالى:﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا**﴾ [سورة

الإسراء،الآيتان،26، 27]. وقوله تعالى:﴿**وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [سورة الأنعام، الآية141].

فالزهد في المال هو أنْ يعلم الإنسان أنَّ المال فتنة، وأنَّه وسيلة للعديد من المفاسد والمهالك التي هي في المجتمع، وعليه أنْ يكون حذراً منها، حيث يقول تعالى:﴿**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ**﴾ [سورة التوبة،الآيتان:35،34] .

من الواضح أنَّ الإسلام منهج اعتدال في جمع المال وتحصيله للمحافظة على مسلك الزهد فيه، وأنْ يجمع المسلم المال بلا لهفة ولا حرص، وإنَّما بطيب نفس لا بعلوِّها، وأنْ يراعي الله في ذلك، ويراعي حقوق الآخرين من الورثة. ومن ذلك ما روي عن حكيم بن حزام فقال سألت النبيﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني ثم قال: "إنَّ هذا المال ...خضرةٌ حُلْوة، فمن أخذ بطيب نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإسراف لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى"[(19)].

وحب المسلم للإنفاق في سبيل الله -هو الزهد بعينه– قد يدفعه للتصدُّق بماله طلباً لرضا الله-سبحانه وتعالى-، ويكون قد ضرب المثل الأعلى للزهد، ولكن مثل هذه الصورة لم يوافق عليها الرسول -صلوات الله عليه- حين أراد أحد الصحابة أنْ يتصدَّق بثلثي ماله فإنْ لم يكن فبنصفه، وهذا ما يرويه سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- حيث قال: "كان الرسول ﷺ يعودني عام حجة الوداع من وجع اشتد بي فقلت: إنِّي قد بلغ بي من الوجع وأنَا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة أفأتصدق بثلثي

مالي؟ قال لا، فقلت بالشطر؟ فقال لا. ثم قال الثلث والثلث كثير، إنَّك أنْ تذر ورثتك أغنياء خير من أنْ تذرهم عالة يتكفَّفون الناس"[20].

نستنتج مما سبق عرضه أنَّ القرآن الكريم والسنة الشريفة لن تخلو من تطبيقات عملية لواقع الزهد المبني على الاعتدال، فضلاً على ما جاءت به من قواعد نظرية، في عدم حرمان النفس والآخرين مما أحلَّه الله تعالى لهم في الدنيا، بوسطية قوامها لا إفراط ولا تفريط ، ولا إعراض على الآخرة من أجل الدنيا، وهذا ما يميِّز الزهد في الصدر الأول من الإسلام في القرنين الأول والثاني، وكان زهداً ملتزماً بكتاب الله وسنة الرسولﷺ.

ثانياً- صور من زهد الصحابة: لمحة عن الحياة الروحية عند الرسول ﷺ و صحابته رضوان الله عليهم.

قبل الحديث عن زهد الصحابة، لابد لنا من التأمل في حياة الرسول وما انطوت عليه من معاني الزهد والتقشُّف قبل البعثة وبعدها.

ومما لاشك فيه أنَّ حياته قبل البعثة كانت مليئة بأحداث لها جوانب روحية عميقة أثَّرت كل التأثير على نفسه وروحه، وقلبه إذ كان ﷺ قبل البعثة وقبل نزول الوحي يذهب إلى غار حراء مبتعداً عن صخب الحياة زاهداً في نعيمها وترفها، متزهِّداً في مأكله ومشربه، ومتأملاً في الوجود، تمهيداً للنبوَّة حتى نزل عليه جبريل بالوحي فقال له: "اقرأ، فقال الرسول: ما أنا بقارئ حتى نزل جبريل بقوله تعالى:﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [سورة العلق، الآيات:1-4]. فكان ذلك صورة أولى للحياة التي سيعيشها فيما بعد أصحابه -رضوان الله عليهم- أشار الغزالي إلى عزلة النبي الكريم بقوله: "الفائدة الأولى للعزلة التفرُّغ للعبادة، والتفكر والاستئناس بمناجاة الله تعالى عن مناجاة الخلق، والاشتغال باستكشاف أسرار الله تعالى في أمر الدنيا والآخرة،

وكل ذلك يستدعى فراغاً، ولا فراغ مع المخالطة، فكان ببدنه مع الناس، وبقلبه مقبلاً على الله تعالى[21].

وكانت هذه الحياة قد مهَّدت له مكانة رفيعة بين كفار قريش حتى سمى بالأمين، ولا يخفى على أحد حادثة الحجر الأسود، وتنازع القبائل في الحصول على شرف حمله ووضعه في مكانه المناسب في الكعبة، حتى جاء محمد -صلوات الله عليه وسلامه عليه- وأنقذ الموقف، وكان لهذا الموقف أثره على شيوخ القبائل من ناحية، وعلى تأكيد مكانة محمد ﷺ في نفوس العرب من ناحية أخرى[22].

أمَّا حياته بعد البعثة فكانت هي الأخرى حافلة بالمعاني الروحية التي وجد فيها الصحابة والمتزهدة من بعده منبعاً فياضاً لهم، فقد كان النبي ﷺ آخذاً على نفسه بالتقشُّف وكثرة العكوف على العبادة والتهجُّد حتى نهاه القرآن على ذلك في قوله تعالى:﴿**طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى**﴾ [سورة طه،الآيتان:1، 2]. فزهد النبي الكريم وكما يقول الدكتور محمد هيكل: "لم يكن هذا الزهد ولا هذه الرغبة عن الدنيا تقشُّفاً للتقشُّف، ولا كانا من فرائض الدين"[23]. فزهده عليه الصلاة والسلام هو مبدأ في الحياة، وأسلوب ومنهج في السلوك، وهي طريقة اعتادها في حياته الطيبة لتكون نوراً يهتدي به.

ويروى عن كثرة تعبُّد الرسول ﷺ أنَّ عائشة قالت له – لما رأته يقوم الليل حتى تتفطر قدماه– لما تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: "أفلا أُحب أنْ أكون عبد اً شكورا "[24].

هكذا كانت حياة الرسولﷺ وقد أدَّبه ربَّه فأحسن تأديبه لقوله تعالى:﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [سورة القلم،الآية:4]. فكان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويسخط

بسخطه. فشرح الله صدره فنقّاه من حب الذات ومغريات الحياة، ورغبة في معرفة الحق والعمل به والتمسُّك بفضائل الأعمال وجميل الصفات حتى أصبحت حياته ﷺحياة روحية راقية، ولم يكن في خُلقه متكلّفاً، وإنَّما كان خلقه سجية وطبعاً لقوله تعالى:﴿**قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ**﴾[سورة ص الآية84]، وكان خلقه الشفقة على جميع الخلق ألم يقل الله تعالى عنه:﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [سورة التوبة، الآية:128].

فالرسول الكريم -صلوات الله وسلامه عليه- لم يكن متكلّفاً فيما يبدو من أخلاقه، لأنَّ المتكلّف وهذا شيء طبيعي لخلق من الأخلاق لا يدوم له هذا التكلف طويلاً بل يعود إلى طبعه الأصلي، في الواقع لا يمكننا أنْ نتناول حياة الرسول الكريم جملة، وما انطوت عليه من شمائل وأخلاق لأنَّها كثيرة ومتعددة. بل سأقتصر على بعض الأحاديث التي تعطينا صورة عملية وواقعية وواضحة عن حياة الرسولﷺ وكيف كان زاهداً في هذه الحياة الدنيوية، فلم يكن مولعاً بزخارفها وما فيها، ولا كانزاً للمال، وإنَّما كان يأخذ من حلالها بمقدار ما يعينه على واجبات الدين والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى. كان-عليه الصلاة والسلام- لا يجمع بين نوعين من الطعام في وقت واحد، وفي هذا تقول عائشة -رضي الله عنها- : "خرج – تعني النبيﷺ- من الدنيا ولم يملأ بطنه في يوم من طعامين، كان إذا شبع من التمر لم يشبع من الشعير، وإذا شبع من الشعير لم يشبع من التمر"[25].

وكيف لمحمد النبي الكريم أنْ يكتنز الطعام أو يحتكر لقوت و"مات وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين"[26]، ويقسم أبو هريرة فيقول: "والذي نفس بيده ما

شبع الرسولﷺ وأهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز حنطة حتى فارق الدنيا"[27]، وعن عائشة قالت: "إنَّا كنا آل محمد لنمكث شهراً ما نوقد فيه بنار، ما هو إلا التمر والماء"[28].

ويجب القول بأنَّ هذه الحياة الشديدة ذات الطابع التَّقشفي من حياة الرسولﷺ لم تكن فقر ولاعن عجز ولا فرضاً عليه،لأنَّه -عليه الصلاة والسلام- عرضت عليه جبال مكة أنْ تكون ذهباً بين يديه ولكنه أبى وفضَّل الجوع ليكون هذا وسيلة لتضرُّعه إلى الله سبحانه، فإنْ شبع فذلك وسيلة إلى حمد الله -عزَّ وجلَّ- وشكره على عطائه.

يتضح مما سبق أنَّ الزهد عند رسول الله كان منهجاً للحياة قوامه وأساسه الكتاب والسنة الشريفة، ويقول الدكتور عبد الرحمن بدوى بعدما أورد ثلاثة وعشرين حديثاً في زهد النبيﷺ "هذه الشواهد كفيلة بإثبات أنَّ النبي -صلاة الله وسلامه عليه- كان يعيش حياة الزهد والتقشُّف سواء في طعامه أو في لباسه، وقد استمر على ذلك حتى وفاته...، لم يكن ذلك على عدم قدرة على الحصول على ملاذ الحياة وأطايبها، وإنَّما فعل ذلك عن مبدأ في السلوك خليق بمثله وهو الزهد في الدنيا[29]، وهذا ما في بعض الأحاديث من أنَّه ﷺ عرض عليه أنْ تصبح جبال مكة كلها ذهباً خالصاً له فقال: "أجوع يوماً وأشبع يوماً"[30].

من الواضح أنَّ الزهد كان عند رسول الله -عليه الصلاة والسلام- مبدأ في السلوك، ومنهجاً في الحياة، إلا أنَّه رسم منهجاً معتدلاً بين الدين والدنيا، بين الجسد والروح، فلم يعل من جانب على جانب بل اتخذ الوسط طريقاً.

وفى هذا الحديث دليل على جمع محمد خير الأنام -عليه الصلاة والسلام- بين الدين وما يأمر به، والدنيا وما فيها من ملذات وتنوُّع، عن أنس أنَّ نفراً من أصحاب

النبي ﷺ قال بعضهم: "لا أتزوج النساء وقال بعضهم:لا آكل اللحم وقال بعضهم: لا أنام على الفراش وقال بعضهم: أصوم فلا أفطر فبلغ ذلك رسول اللهﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: "ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟ لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني"[31].

مضمون الحديث أنَّ الرسول كان زاهداً في الدنيا نعم، ولكن لم يهجرها بالكلية، بل كان يصلّي وينام، يصوم ويفطر، ويتزوَّج النساء فكان جامعاً بين الدين والدينا، فهو لم يعتزل الناس في صومعة، ولم يلبس المرقعة. تلك هي حياة النبي الكريم زهد معتدل معبِّر عن الحياة الروحية السامية، التي اتخذها صحابته من بعده منهجاً لهم. فصاروا على طريق الزهد والتقوى التي قوامها الاعتدال والتوسُّط، وكان ذلك ما نهج عليه الصوفية فيما بعد.

وقد اقتدى كثير من الصحابة بالسنة الزهدية للنبي -عليه الصلاة والسلام- [32]، وكانوا مقتدين بالنبي -صلى الله عيه وسلم- في كل أقواله وأفعاله. وهم من امتدحهم القرآن في قوله تعالى:**﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** [سورة التوبة، الآية:100].

فمما روي عن أحوال الصحابة إجمالاً قول أبي عتبة الحلواني: "ألا أخبركم عن حال كان عليها أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟، أولها: لقاء الله تعالى كان أحب إليهم من الحياة، والثانية كانوا لا يخافون عدواً قلوا أم كثروا، والثالثة لم يكونوا يخافون عوزاً من الدنيا، وكانوا واثقين برزق الله تعالى"[33].

يتضح مما سبق أنَّ صحابة رسول الله -عليه الصلاة والسلام- لا يخافون عوز الدنيا، فحياتهم كانت قراءة القرآن بتأمُّل وتدبُّر وهو هدفهم، فهم نماذج صادقة للحياة

الروحية التي كانت تتسم بالزهد المعتدل القائم على الكتاب والسنة، وهذه بعض من صور زهدهم:

1- **صور من زهد أبي بكر الصديق-رضي الله عنه-:** يروى أنَّ أبو نعيم عن زيد بن الأرقم قال: "كان لأبي بكر الصديق -رضي الله عنه- مملوك، فأتاه ليلة بطعام فأكل منه أبو بكر لقمة، فقال المملوك: مالك؟ كنت تسألني كل ليلة، ولم تسألني الليلة؟ قال أبو بكر حملني على ذلك الجوع، من أين جئت بهذا؟ قال المملوك مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم -أي صنع لهم رقية- فوعدوني فلما أنْ كان اليوم مررت فإذا بعرس لهم فأعطوني، فقال أبو بكر كدت تهلكني، فأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ، وجعلت لا تخرج فقيل له إنَّ هذه لا تخرج إلا بالماء، فدعا بطست من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها، فقيل له يرحمك الله، كل هذا من أجل لقمة؟ قال -أي أبو بكر- لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها، سمعت رسول الله يقول: "كل لحم نبت من حرام النار أولى به"، فخشيت أنْ ينبت شيء من جسدي من هذه اللقمة"[34].

يتضح من هذه الرواية النهج الذي كان ينتهجه أبو بكر الصديق، وهو القرآن والسنة الشريفة، وقد تحلَّى بالصفات العالية التي تمثِّل جانباً من الجوانب الروحية لديه -رضي الله عنه- كالخوف من الحرام، وتقوى الله سبحانه، وعفته وزهده عن كل باطل، وكلها أخلاق تهذِّب النفس، وتصقلها لتسمو عن كل عوالم مادية وتكون قريبة من ربِّها.

ومن أهم مظاهر إقبال أبي بكر على ربِّه زهده في الدنيا، وهذا مَثَّل الزهد لديه قولاً وعملاً، فلم يمسك إلا المحبوب عنده هو الله ورسوله، عن عمر الخطاب قال أمرنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنْ نتصدَّق ووافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إنْ سبقته يوماً. قال فجئت بنصف مالي. قال: فقال لي رسول الله: ما أبقيت لأهلك: قلت مثله. وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول الله -عليه

الصلاة والسلام- ما أبقيت لأهلك؟ فقال أبقيت لهم الله ورسوله. فقلت لا أسابقك إلى شيء أبداً[35].

يتبين مما عرضنا خروج أبي بكر -رضي الله عنه- من جميع ماله وزهده فيه لله، وهذا تأكيد على مدى علو روحانيته وسموها في أعلى المراتب الإيمانية الروحية، ولكن مع زهد أبى بكر في ماله وكرمه إلا أنَّ الرسول الكريم يسأل ما أبقيت لعيالك؟ فهو عليه الصلاة والسلام وكأنَّه يقول لأبي بكر ما ادخرت لأولادك، صحيح تصدَّق، ولكن حق عيالك عليك. وهو بذلك جمع بين حق الدين، وما أُمر به، وحق الدنيا المتمثلة فيما يتركه لأهله.

ورغم أنَّ الحياة كانت تعج من حوله بمباهج الدنيا ومفاتنها آنذاك من مال وجواري. إلا أنَّه -رضي الله عنه- كان مفضِّلاً التقوى واليقين والتواضع عليها. فقال رضي الله عنه: "وجدنا الكرم في التقوى، والغناء في اليقين، والشرف في التواضع"[36].

مما سبق عرضه يتضح أنَّ الحياة الروحية التي عاشها أبو بكر الصديق كانت حياة زهد في الدنيا على نهج الاعتدال والالتزام بالكتاب والسنة المباركة، فكان الزهد منهجاً ومبدأ للحياة طبَّقوه عن قناعة منهم، لم يتخذ إطاره النظري وحسب، بل تعداه ليكون ذا جوانب عملية في الحياة. ويقول المحب الطبري في هذا الصدد: "كان أبو بكر زاهداً كثير التعبُّد والورع، عرف بورعه وتواضعه وحلمه"[37].

2- **صور من زهد عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-:** كان الخليفة عمر شديداً في الحق فسمِّي بالفاروق، وهو مع ذلك كان الناسك حقاً حيث كان يعيش عيشة تقشُّف لا مثيل لها بين الصحابة والخلفاء.[38]، وهو الذي قال فيه رسول الله -صلى الله عيه

وسلم- : "لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدَّثون فإنْ يكفى أمتي أحد فإنَّه عمر"[39].

المحدَّث هو الرجل الصالح المتصل بربه، والذي يُلقى في قلبه شيء من الملأ الأعلى، قيل أنَّ المحدَّث من يجري الصواب على لسانه من غير قصد، كما قيل إنَّه مُكلَّم أي تكلمه الملائكة من غير نبوة، وكيف لا يكون ذلك وهو الذي قال عنهﷺ: "إنَّ الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه"[40].

من الواضح أنَّ عمر -رضي الله عنه- كان ملهماً من عند الله عز وجل؛ لأنَّه وافق ربه في بعض الأحكام الشرعية، في مقام إبراهيم، وفى الحجاب، وفى أسرى بدر، وفى عدم الصلاة على أبي بن سلول رأس المنافقين[41].

لقد تفرَّد عمر بأنَّه ملهماً من عند الله، ومحدَّث من قِبل الله تعالى مع ما حدث مع سارية من مكاشفة الله لعمر لبعض الأسرار التي تعد كرامة من كرامات أولياء الله الصالحين، حيث كان سارية يواجه الأعداء في معسكر على باب نهاوند، فإذا بهؤلاء الأعداء يحاولون الالتفاف حول جيش المسلمين، فإذا بالله يضع أرض المعركة بجيوشها أمام بصيرة عمر فينادي عمر قائد الجيش قائلاً: "يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، ويصل صوت عمر إلى سارية، وهو يحارب العدو، فيحتضن الجبل وظفر بالنصر[42].

يتضح أنَّ الذي كشف لعمر وأعلمه عن موقف جيش المسلمين هو الله سبحانه، ولا يكون ذلك إلا للصالحين والصادقين من عباد الله، أمثال عمر الفاروق العابد الزاهد. فماذا من زهد عمر؟ قال طلحة بن عبد لله: "ما كان عمر بأولنا إسلام، ولا أقدمنا هجرة، ولكنه كان أزهدنا في الدنيا، وأرغبنا في الآخرة"[43]. ومن ذلك ما رواه أنس قال: "أصاب الناس سنة غلا فيها السمن وكان عمر يأكل الزيت فيقرقر

بطنه فيقول قرقر ماشئت فو الله لا تأكل السمن حتى يأكله الناس"[44]، ودخل يوم عمرﷺ على عبد الله بن عمر فإذا عندهم اللحم فقال لمن هذا اللحم؟ فقال اشتهيته، قال: أو كلما اشتهيت شيء أكلته كفى بالمرء سرفاً أنْ يأكل كل ما اشتهاه"[45].

وعن مصعب بن سعد قال: قالت حفصة لعمر: "يا أمير المؤمنين اكتسبت ثوباً هو ألين من ثوبك، وأكلت طعاماً هو أطيب من طعامك، فقد وسَّع الله من الرزق وأكثر من الخير. فقال: سأخاصمك إلى نفسك، أما تذكرين ما كان رسول الله يلقى من شدة العيش، وكذلك أبو بكر؟ فمازال يذكرها حتى أبكاها. فقال: أما والله لأشاركهم في مثل عيشهما الشديد لعلّي أدرك عيشهما الرخي"[46]، وقال عمر يوماً لمن معه: "والله إنِّي لو شئت لكنت من ألينكم لباساً، وأطيبكم طعاماً، وأرقكم عيشاً... ولكنني سمعت الله سبحانه عيَّر قوماً بأمرٍ فعلوه فقال:﴿**أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا**﴾ [سورة الاحقاف، الآية:26] .

مما سبق نستطيع القول بأنَّ زهد عمر استند إلى أساسين هما الكتاب والسنة، لذا نجد زهده يهدف إلى اجتناب محارم الله، واتقاء غضبه، وهكذا اتسمت الحياة الروحية عند عمر بن الخطاب بالزهد المعتدل الذي لا تفريط ولا إفراط فيه، فلم يركن للدنيا حتى نسى الآخرة، ولم يتعصَّب للآخرة وترك دنياه، فجعل من أسلوب الزهد في الحياة طريقاً في الحياة.

تزهَّد عمر الفاروق -رضي الله عنه- عن كل ما يغضب الله؛ اتقاءً لمحارمه، هذا لأنَّه عادل، وتزهَّد عن كل رغبات النفس المتنوعة لأنَّه وجدها إسرافاً لماذا؟، لأنَّ الزهد عنده عدل لكي لا يظلم نفسه بما ليس لها، ويعطى غيره مما شرع الله ويكون بذلك منصفاً. وما فُرض هذا الطابع الزهدي على عمر ﷺ. ولكن كان منهاجاً للحياة اعتاد السير فيه، والأخذ به قوامه الكتاب والسنة.

الخاتمة:

سلك صحابة رسول الله طريق الرسولﷺ، في الزهد والورع والتقوى فوازنوا بين الدنيا والآخرة، ونهجوا منهج الإسلام في الاعتدال والوسطية، وهذا ما جاء في قوله تعالى:**﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾** [سورة البقرة، الآية:143] .

فالمسلمون خلال القرنين الأول والثاني الهجريين لم تمنعهم العبادة أو الزهد عن أخذهم لنصيبهم من الحياة الدنيوية، فقد كانوا يجمعون بين الحياة الدنيوية والحياة الأخروية.

وفضلًا على ذلك كان الزهد مبدأ لديهم في الحياة ومنهجاً فيها، وكان يحمل هدفاً سامياً، ألا وهو صفاء النفس وطهارتها ونقاء الروح وصفائها، وذلك للحصول على روح فاضلة عالية تتمسَّك بالمعالي، وتترفَّع عن الدنايا؛ لتقوى صلتها بالله ويزداد حبها للمولى -عزَّ وجلَّ- في الوقت الذي تنظر فيه هذه النفس إلى الحياة الدنيوية، وما فيها على أنَّها أمور فانية، ويجب أنْ يؤخذ منها بالقدر الذي يعين على العبادة ويوصِّل إلى الدار الآخرة.

إنَّ الحياة الروحية عند الصحابة وما اشتملت عليه من زهد وعبادة كانت كلها مأخوذة من الكتاب وسنة رسوله ﷺ، حيث كانوا يعتمدون في هذا على صريح الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، لذا نجد الحياة الروحية في تلك المرحلة قد قامت على العمل فقط، والسلوك العملي وحسب، حيث كانت هذه الحياة زهداً عملياً وتقشُّفًا عملياً، ومجاهدةً عمليةً وتطبيقاً عملياً لنصوص الشرع والدين، وموازنةً عمليةً بين أمور الحياة الدنيوية وواجبات الحياة الأخروية، فلم يكن الزهد في هذه المرحلة حركة دينية ولا مذهباً من المذاهب، ولا نظاماً جماعياً، بل كان نزعةً إنسانيةً فرديةً رائدها الدين وحده، القرآن وسنة الرسول ﷺ .

تلك هي صور من زهد صحابة رسول اللهﷺ، وما امتازت به من منهج تطبيقي علمي يهدف إلى تربية المسلم وخلق الفرد الصالح وهذا المنهج لخدمة خالقه من ناحية، ويؤهِّله لخدمة أمته من ناحية أخرى؛ ليصل بذلك إلى سعادة الدارين، ويفوز بخيري الدنيا والآخرة مقتديين في ذلك بالكتاب والسنة الشريفة.

الهوامش:

1- مسندا بن حنبل ج1، مؤسسة الرسالة، ص268- 310، حديث رقم114، والحديث رقم 177، والحديثان صحيحان.

2- ابن منظور: لسان العرب، بيروت، دار المعارف، ص1876م.

3- المصدر نفسه، ص1876م.

4- الرازي: مختار الصحاح، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1976م، ص276.

5- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، مصر، مكتبة الشرق الدولية،2004م، ص304-404.

6- ابن القيِّم : مدارج السالكين ج2، تحقيق، محمد كمال جعفر، مصر، الهيئة المصرية للكتاب،1980م، ص17.

7- المصدر نفسه، ص72.

8- الطوسي: اللمع، تحقيق: عبد الحليم محمود، طه سرور، القاهرة، دار الكتب الحديثة، ص72.

9- المصدر نفسه، ص72.

10- المصدر نفسه، ص72.

11- ابن القيم: مدارج السالكين،ج2، ص10.

12- أبو الوفاء التفتازانى: مدخل إلى التصوف الإسلامي وتاريخه، الكويت، القاهرة، وكالة المطبوعات،1978م، ط2، ص63-64.

13- المرجع نفسه، ص70.

14- كامل مصطفى الشيبى: صفحات مكثّفة من تاريخ التصوف الإسلامي، بيروت، دار المناهل،1997م، ص270.

15- الحارث المحاسبي: آداب النفوس، تحقيق: محمد عبد العزيز أحمد، القاهرة، مكتبة القرآن، ص73.

16- سنن أبى داود ج2، بيروت، مؤسسة الكتب الثقافية،1988م، ص755، من حديث أبى الدرداء، وأحمد في المسندج6، ص450.

17- فتح الباري بشرح صحيح البخاري،ج11، كتاب الرقاق، باب قول النبي كن في الدنيا كأنك غريب، دار المعرفة، ص95.

18- مسلم: صحيح مسلم، كتاب الرقائق، رقم الحديث2961، ص749.

19- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج11، كتاب الرقائق،253.

20- المصدر نفسه، كتاب الجنائز، رثاء النبي -صلى الله عليه وسلم- سعد بن خوله، ص164.

21- الغزالي: إحياء علوم الدين ج2، بيروت، دار الكتب العلمية، ص201-202.

22- ابن كثير: البداية والنهاية، القاهرة ،1932، ص237_238.

23- محمد حسين هيكل: حياة محمد، دار القلم،1970م ط7، ص196-197.

24- كتاب تفسير القرآن، باب قوله: "ليغفرا لله ما تقدم من ذنبك"، رقم الحديث 4837، ص80.

25- فتح البارئ ج11، مصدر سابق ص 292.

26- صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق،ج18، ص108.

27- المصدر نفسه ج81، ص109.

28- سنن ابن ماجه،ج2، تحقيق فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الكتب العربية، كتاب الزهد، رقم الحديث 1388، ص230.

29- عبد الرحمن بدوى: تاريخ التصوف الإسلامي، الكويت، وكالة المطبوعات،1978م، ط2، ص112.

30- ابن الجوزي: ألوفا بأحوال المصطفى ج1، دار الكتب الحديثة، 1966م، ط1، ص475.

31- سنن النسائي: كتاب النكاح، باب النهى عن التبتل، رقم الحديث،3214، ص771.

32- هادى العلوي: قاموس التراث، دمشق، دار الأهالي،1988م، ط3، ص200.

33- الطوسي: اللمع، مصدر سابق، ص167.

34- الأصفهاني: حلية الأولياء،ج1، مصر، مطبعة السعادة، ط1، ص31.

35- ابن الجوزي: صفة الصفوة،ج1، الإسكندرية، دار ابن خلدون،1994م، ط1،ص99.

36- الأصفهاني: حلية الأولياءج1، مصدر سابق، ص،40.

37- المحب الطبري: الرياض النضرة في مناقب العشرة،ج1، القاهرة،1327ه، ص132.

38- انظر: البخاري:ج7، حديث رقم3689، ص42، وأيضا، أبى نعيم الأصفهاني: الحلية ج1ص38.

39- الأصفهاني: حلية لأولياء، ج1ص42.

40- المصدر نفسه ج1، ص48.

41- المحب الطبري: الرياض النضرة، ج1، ص200.

42 - أحمد ابن حنبل: الزهد، بيروت، دار الكتاب،1970م، ص150.

43- المصدر نفسه،،ص153.

44- المصدر نفسه،ص155.

45- المصدر نفسه، ص155.

46- المصدر نفسه، ص194.